الفصل الخامس

تحليل المصادر

١- المصادر القديمة:

لم يكتب لنا أي بدوي مؤلفا عن شعبة أو عن تاريخه، وإنه لمن الممكن بل ومن المحتمل أن التاريخ بالنسبة للبدو إنما يتساوى أمره مع أمر الشعر الذي آل إليهم شفويًا وعن طريق الروايات المأثورة، وإن ما نسميه هنا بالمصادر القديمة، إنما هو مجرد المؤلفات التي خلفها لنا المؤلفون من غير البدو، وا تناول القبائل البدوية التي وصلت إلى مصر، ويرجع تاريخ هذه المؤلفات أساسا إلى العصر المملوكي، وهي مؤلفات عديدة ومتنوعة، ولكننا يجب أن نقر وأن نعترف - نظرا لأن هذه المؤلفات هي التي تشكل مصادرنا الوحيدة بالنسبة للقرون التي سبقتها- بأن معلوماتنا عن البدو في مصر قد خضعت وتأثرت بالطبع بتأثير النظرة المملوكية على التاريخ البدوي، هذا وإن الكتاب الذي يعوزنا، والذي ربما كان هو أفيد ما وضع عن البدو، هو كتاب الحمداني، الذي يحتمل أن يكون اسمه الحقيقي هو يوسف بن أبى المعالي، (المتوفى عام ٧٠٠ هـ)، وكان اسم كتابه هذا:"الأنساب"، وهو على ما يبدو قد فقد وضاع، ولكن لحسن الحظ أن بعض مادته قد حفظت لنا في مؤلفات لاحقة وخاصة في مؤلفات القلقشدي، ولكننا نستطيع القول بأنه نظرا لوظيفة الحمداني كمهمندار، ولحياته الطويلة التى أمضاها في خدمة سلاطين مصر في نفس هذا المنصب، فإن الحمداني دون منازع، وكما يؤكد ذلك القلقشدي، هو مؤرخ البدو، فبناء على ما وصلنا من مادة كتابه"الأنساب"، فإنه يبدو أن هذا الكتاب قد حوى سردا لبدو مصر وذكر أنسابهم، وعلاقاتهم بسلاطين مصر، وبالتالي فقد تناول وقائع تاريخية دخل البدو طرفاً فيها، كما أنه حدد أماكن نزولهم وإقامتهم في مصر وغيرها من البلاد الأخرى، كشبه جزيرة

العرب والشام والعراق....إلخ، فالمرجح إذن أن الحمداني لم يقتصر في حديثه على الكلام عن بدو مصر وحدهم، بل تعداهم إلى غيرهم في هذه البلاد الأخرى، أما عن القلشندى المتوفَّى فى عام (٨٢١) هـ، فإن إسهامه فى هذا المجال يعد من أهمها وأوفرها، فقد أوجبت عليه مهامه التربوية أن يتحفنا بفصل طويل فى كتابه"**صبح الأعشى فى صناعة الإنشا**"، تكلم فيه عن مختلف القبائل البدوية التي حضرت إلى مصر، فهو يرى أنه من المفروض فى كُتَّاب الإنشاء ألا يجهلوا أنساب العرب، وأن يعرفوا من بقى من سلالاتهم فى مصر فى ذلك العصر، كما أن هناك كتاباً آخر أكثر تخصصا قد ألفه القلقشندى وسماه :"نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب"، وقد أهدى هذا الكتاب إلى أبي المحاسن يوسف الأموي القرشي في رأي البعض، أو إلى أبي الجود بكر بن رشيد أمير عربان الشرقية والغربية في رأي البعض الآخر، ولقد وضع الكتاب وفقا للحروف الهجائية، وهو يضم جميع القبائل العربية بما فيها قبائل مصر، ويعطي المؤلف باختصار النسب الذي تنتمي إليه القبيلة، ومكان نزولها في مصر، وكذلك عدد بطونها وأفخاذها، وربما ذكر القلقشندي في بعض الأحوال النادرة اسم رئيس القبيلة أو أميرها أو مقدمها، وأسماء مشاهير رجالاتها، وقد يشير في بعض الأحيان إلى تاريخ وصولها ألي مصر ومواقع نزولها المختلفة، وما يكون قد وقع لها من أحداث هامة كل ذلك في عدة سطور دون تطويل أو تفصيل للأسف الشديد، والقلقشندي في كل ذلك يحيل القارئ إلي ما كتبه الحمداني، أما الكتاب الثالث الذي وضعه القلقشندي في هذا الموضوع فهو"**قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**"، وقد أهداه إلي رئيسه في ديوان الإنشاء البارزي، وقد خصص القلقشندي مادة هذا الكتاب بالحديث عن بدو مصر وعن قبائلها فقط، ولم يتبع القلقشندي نفس المنهج الذي اتبعه في"**نهاية الأرب**"، فقد قسم"**قلائد الجمان**"إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: العرب العاربة (بنو قحطان).

القسم الثاني: العرب المستعربة (بنو عدنان).

القسم الثالث: العرب المختلف في عروبتهم وهم البربر.

وبالرغم من صغر حجم هذا الكتاب وقلـــة عـــدد صـــفحاته، فهـــو حافـــل بالمعلومات الجديرة بالتأمل والتفكير، والتي تحثنا غالبا على القيام ببحث متعمـــق عن طريق مقارنة ما ورد فيه من معلومات وبيانات ومقابلتها بمثيلاتها في الكتـــب الأخري، لأن القلقشندى- للأسف- لم يعطنا دائما التفاصيل المطلوبة، ويعتمد فـــي هذا الكتاب أيضا وبصورة شبه كاملة على ما ألفه الحمداني.

لقد ترك المقريزي، المتوفى عام (٨٤٥) هـــ كذلك رسالة هامة عن أعراب مصر، سماها:"**البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب**"، وهي مقالة وجيزة قيدها المقريزي لنفسه، ولمن شاء الله تعالي من أبناء جنسه، كان المنهج الذي سار عليه المقريزي عند وضعه لهذه الرسالة ـــ وهو المنهج الذي تتبعه دائما ـــ قائمـــا على دراسة كل قبيلة من القبائل الكبري في مصر باعتبارها كيانا قائما بذاته وفـــي مجموعه، وقد استفاد المقريزي عند تحريره هذا الكتاب بما ألفه الحمـــداني وبمـــا كتبه النسابة الشريف أسعد الجواني، ونلاحظ أنه قد ذكر الجواني باسمه كمرجع له مرتين، ولكنه قد أهمل تماما ذكر الحمداني، وقد لجأنا إلى طريقة مقابلة المعلومات الدقيقة لكي نستطيع أن نوضح ما استعمله المقريزي من كتابات الحمداني، فهنـــاك جمل بأكملها أوردها المقريزي وتظهر عند القلقشندى الذي يحيل فيها ـــ إلى مـــا استقاه من الحمداني دوان مواربة، وهذا لا يقلل بأي حال من الأحوال من أصـــالة المقريزي، الذي يعطينا في كل سطر من سطور هذا الكتاب حـــشداً كبيـــراً مـــن الأسماء والمعلومات والمؤثرات.

وظهر في القرن التاسع عشر كتاب بعنوان:"**سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب**"للسويدي، المتوفى عام١٢٦٤هـــ، وهذا الكتاب ما هو إلا اقتبـــاس لكتـــاب القلقشندى"**نهاية الأرب**"على شكل رسوم وخطوط ودوائر تمثـــل أنـــساب القبائـــل البدوية، وهو يضيف في نهايته نبذة عن أنساب الـــسلاطين العثمـــانيين، ويمكـــن الاستفادة به في التنقيب عن بطون القبائل، ولقد طبع على الحجر في بغـــداد لأول

مرة عام (١٢٨٠)هـ، ثم في بمباي عام (١٢٩٦)هـ؛ وظهرت منه طبعة في القاهرة (بدون تاريخ) أصدرتها المكتبة التجارية الكبرى، وتمثل هذه المؤلفات الخمسة الخاصة بالقبائل البدوية نواة أي دراسة عن البدو في مصر في العصور الوسطى.

كتب الأنساب:

يمكننا أن نسترشد في هذا الصدد بثلاثة كتب من بين كتب الأنساب وهي:

١-"**جمهرة الأنساب**"لابن الكلبي المتوفَّى عام (٢٠٤) هـ.

٢-"**جمهرة أنساب العرب**"، لابن حزم القرطبي، المتوفَّى عام (٤٥٦)هـ.

٣- كتاب"**الأنساب**"للسمعاني، المتوفَّى عام (٥٦٢)هـ.

المصادر الجغرافية التاريخية:

توجد المعلومات الجغرافية أو التاريخية التي تخص بدو مصر مبعثرة في مؤلفات مختلفة، وسنذكر هنا الكتب التي وردت بها معلومات ذات قيمة من هذه الكتب.

مؤلفات شهاب الدين بن فضل الله العمري، المتوفى عام ٧٤٨هـ، وهي:"**التعريف بالمصطلح الشريف**"، و"**مسالك الأبصار**"، حيث نجد فيه معلومات متفرقة لكنها هامة بالنسبة لعربان مصر.

كل مؤلفات القلقشندي، وخاصة الأربعة عشر جزءاً التي تكون"**صبح الأعشى في صناعة الإنشا**"، والتي تضم في طياتها بالإضافة إلى القسم الخاص بالقبائل البدوية في مصر عدداً لا بأس به من البيانات المفيدة عن البدو وأخبارهم في مصر.

ومن مؤلفات المقريزي نذكر:

"**المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**"، وسوف نذكره في بحثنا تحت الاسم المشهور وهو"**الخطط**"- ولهذا الكتاب أهمية خاصة، لما يحويه من معلومات وافية تؤكد لنا ما ذكره المقريزي من مؤشرات في كتابه"**البيان والإعراب**"، ولنفس

المؤلف هناك كتاب"**اتعاظ الحُنفا**"المتعلق بالعصر الفاطمي، وكتـــاب"**الـــسلوك فـــي معرفة دول الملوك**"، الخاص بالعصرين الأيوبي والمملوكي، ويمكننا أيضاً وبالنسبة للعصرين الفاطمي والمملوكي، أن نرجـــع إلـــى مـــؤلفين هـــامين لمعلوماتهمـــا، وهمـــــا:"**تاريخ ابن ميسر**"، و"**بدائع الزهور**"لابن إياس.

وبخصوص التقسيمات الإدارية لمصر في بداية العصر الأيـــوبي، فيوجـــد مرجع لهذا الغرض هو كتاب"**قوانين الدواوين**"لابن مماتى، وقد ظهرت أن كتـــاب ابن دقماق،"**الانتصار لواسطة عقد الأمصار**"له أهميته لمعرفة مناطق نزول البدو في العصر المملوكي، وكذلك فإن كتاب ابن الجيعان:"**التحفة السنية**" الـــذي أورد فيـــه الروك الناصري الذي تم في العصر المملوكي – لازم لاستخراج أصول الأسماء الجغرافية ومناطق نزول من بقي من البدو بمصر في هذا الوقت، فإذا ما اســـتثنينا هذه المؤلفات الكلاسيكية التي ذكرناها آنفاً، فإن المصادر الأخرى لا تخـــرج عـــن كونها مراجع جانبية لا تعطينا سوى بعض المعلومات عن البدو بطريق الصدفة أو في سياق الكلام، وهي مراجع قد تتعلق بالتاريخ أو الأدب في مصر في العـــصور الوســـطى، ومنهـــا علـــى ســـبيل المثـــال لا الحـــصر:"**مـــروج الذهب**"للمسعودي،"**والروضتين**"لأبي شامة، و"**مفرج الكروب**"لابن واصـــــل، و"**حسن المحاضرة**"للسيوطي، و"**النجوم الزاهرة**"لأبي المحاسن....إلخ.

الدراســـات الحديثـــة:

إن الدراسات الحديثة عن بدو مصر لا تذكر إذا ما قورنت بغيرها من الدراسات، ويمكن تلخيصها في عدة مقالات في المجلات والمواد التي ظهرت بدائرة المعارف الإسلامية، وهنا يجب أن نذكر بخصوص مواد"**دائرة المعارف الإسلامية**"، سواء ما ظهر من الطبعة الحديثة أو القديمة أن المراجع ناقصة والمعلومات مختصرة أو معدومة فيما يختص ببدو مصر، ونذكر أيضا المؤلفات الأربعة التالية :

١-"**قبائل العرب في مصر**"، لأحمد لطفي السيد، وهو الكتاب الذي ظهر منه الجزء الأول فقط في مصر عام (١٩٣٦)م، وكان المؤلف ينوي إصدار ثلاثة أجزاء أخري لهذه الدراسة، ولكنها لم تظهر مع الأسف على حد علمنا.

٢- الدراسة التاريخية الهامة التي قام بها محقق كتاب"**البيان والإعراب**"للمقريزي، الدكتور عبد المجيد عابدين.

٣-"**القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولي للهجرة**"، لعبد الله البري، القاهرة (١٩٦٧)م، وهي تقتصر على دراسة القبائل المصرية في تلك الفترة، واتبع فيها مؤلفها طريقة التقميش المنهجي للمعلومات التي أوردها بعض الكتاب القدماء.

٤-"**معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**"، وهو قاموس مفيد في ثلاثة أجزاء، أصدره عمر رضا كحالة، وطبع في دمشق، عام (١٩٤٩)م.